

تجليات التهميش والعنف في الفضاء الرقمي

خلوط مولود، تحت إشراف: أ.د. قيرة إسماعيل

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، طالب الدكتوراه، khaloutmouloud2017@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/01/30

تاريخ القبول: 2019/01/04

تاريخ الإرسال: 2018/11/12

ملخص:

تعدّ حرية التعبير من أهم الحاجات الأساسية التي يقتضي وجودها في أي مجتمع إنساني، وبخاصة ونحن اليوم نحيا ضمن عصر التدفقات العلمية والتكنولوجية، وبموجب ذلك تتحوّل الحريات التعبيرية و نظم الرأي العام و تتغيّر من الأنماط والأشكال العتيقة إلى ممارسات و قفزات نوعية عبر قنوات و فضاءات جديدة في المواقع الإلكترونية و بمختلف صوّرها، و عليه تسعى دراستنا التطرّق إلى أبرز التجليات التي تنجم عن ظاهرة التهميش الاجتماعي و ما يرتبط من خلالها بمظاهر العنف و الشغب، كما تعتمد الدراسة أيضا التعرف على أشكال حريات التعبير في الفضاءات الرقمية للفئات الهامشية في المجتمع الجزائري و رصد أُمير الأحداث و الإمتيازات التي تصاحب هذه الفئة و علاقتها بالتحوّلات الاجتماعية و الإقتصادية و السياسية و الرياضية و الثقافية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام، التهميش، الحرية، العنف، اليوتيوبيون.

Abstract:

Our study seeks to respond to the most important manifestations resulting from the phenomenon of social marginalization and associated manifestations in which violence and riots, as the study also deliberately identifies forms of freedom of expression in digital spaces for categories social marginality in Algerian society and to monitor the events and distinguish the privileges that accompany this group and their relationship with social, economic, political, sports and cultural transformations.

Keywords : Media, marginalization, freedom, violence, the youtubers.

مقدمة:

لقد أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة طفرات نوعية وثورات حقيقية في عالم الإعلام و الإتصال، إذ انتشرت في كافة أرجاء العالم شبكات الأنترنت التي ربطت سكان العالم بعضهم ببعض، وأصبح الكون فضاءاً موحداً وقرية عالمية للإنسانية قاطبة، مما دعا إلى التقارب و التعارف و تبادل الآراء والأفكار والرغبات بين مستخدمي الفضاء الأزرق، والذي أضحى سوقاً واسعة للدعاية والخدمات والنشر وحرية التعبير، وتعتبر مواقع التواصل الإجتماعية الأكثر انتشاراً على شبكات الأنترنت، لما تملكه من خصائص وميزات يتزايد عليها في الإقبال والولوج من طرف مستخدميها يوماً بعد يوم، وبالرغم من الإنتقادات الشديدة التي تتعرض لها خاصة بالنسبة للتأثيرات السلبية التي تساهم في انهيار الروابط الإجتماعية والمؤسساتية والأسرية، كما تعتبر حرية التعبير أيضاً في الفضاءات الرقمية نوعاً من أنواع الحياة المعاصرة، والتي ترتبط أساساً بالمواثيق الخاصة بحقوق الإنسان ونظم الديمقراطية الحديثة عبر العالم، إذ تعد الحرية الشغل الشاغل في المجتمع الجزائري من خلال التجليات اليومية لحالات التذمر والسخط والعنف وصور الإحتجاجات التي تطالب بها مجموعة من الشرائح الهشة والمهمشة و الشباب الفاقدين لأدنى ضروريات الحياة الكريمة، والذي يجد نفسه قابع في ويلات الفقر والبطالة وضيق العيش، خاصة عندما يجد نفسه يتخبط في متاهات العولة، وتلاشي الحدود الدولية وتشاكل الثقافات الإنسانية بعضها ببعض، مما أصبحت من أهم الأعمدة والدعائم واللبات لتوحيد العالم نحو أفكار الديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الإنسان، كما أفرزت أيضاً في العصر الراهن مضاميناً هامة في التقدم العلمي و التكنولوجي، حيث ساهمت في تغيير ملامح النظام العالمي الجديد، إذ دعت الإنسانية إلى عولة الثقافة وأنسنة الشعوب وتحويلهم إلى كوكبة واحدة بدل مجتمعات الوحدة الوطنية و القطرية و المحلية، و في ظل هذه التحولات تداخلت الحياة 1 وأصبحت أشد تعقيداً خاصة في دول العالم الثالث أو ما يعرف بالدول المتخلفة، مما جعل البناءات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية لهذه الدول تقبع في الرداءة و سوء التسيير و تقطن في مواطن اللأمن وعدم الاستقرار و خير مثال على ذلك ما يحدث اليوم في هذه المجتمعات من حروب أهلية وفتن وتقاتل وصراع على السلط، بالإضافة إلى وجود الإنتهاكات على مستوى الحريات و حقوق الإنسان وإقصاء للنخب و تهميشاً للكفاءات، زد على ذلك فضاة الإحتكار في المجالات الإعلامية الرسمية و عزل كل مبدع أو متميز أو صاحب عقل نير، لا لسبب إلا أنه يخالفهم في الرأي، ومن زاوية أخرى نجد تردّي الأوضاع الإقتصادية التي تجعل الحياة الإجتماعية للبسطاء و العوام من الناس يتخبطون في شراك الإقصاء و التهميش و التبدد و التخلف و الإنعزالية، ومن هنا ينشطر الواقع المعاش في ظل المادية العرجاء إلى قسمين:

قسم "أوليغارشي" مستحوذ على الثروة أو ما يعرف بمجتمع الأربعة أخماس الذي يرتقي على كاهل الفئات الهشة والدونية، و قسم "مجتمع الخمس البشري المعدم" الذي دائما ما نجده يصارع متاهات الفقر والتخلف و البطالة و التهميش و العجز، وهذا في حد ذاته شرح عويص يحدث في جميع دول الهامش الذي يتأرجح في الأزمات و عدم التوازن على مستوى البناءات و الروابط الاجتماعية، وهذا ما يفرز في هذه المجتمعات الأخطار العويصة و المثالب الاجتماعية و الزيادة في الباطولوجيا و عوالم الجريمة، أما في ما يتعلق الأمر بقضايا التهميش و الحرمان المؤسسي نجد أنفسنا نسلط الضوء على فئة من فئات المجتمع الجزائري التي تعاني الإقصاء والتهجير الاجتماعي، فالشباب الجزائري دائما ما يسعى إلى إنتهاز الفرص ويطمح إلى كسب المكائنت، وهذا من أجل الخروج من قوقعة الخنق و الضياع و تردي الأوضاع، و مع تفاقم حدة تدني الحريات يشعر المهتمشون بالإغتراب و الحيرة و المصير المجهول....؟!، وهذا ما يؤدي بهم إلى رفض الأمور و التذمر من الأوضاع السائدة و طرح انشغالاتهم و همومهم دائما ما يفرون إلى الإعلام البديل عبر مواقع التواصل الاجتماعي فرادى وجماعات، لما لها من فعالية في استقطاب الشباب الباحث عن كسر ألوية الجمود، و جحود الوسائط الإعلامية التقليدية، ومن هنا ظهر اليوتوبيون في تحميل البوتكاست2 وفق نظام إعلامي جديد سمي بالإعلام الموازي أو الهامشي ، و الذي يتميز بطبيعة الحال و يختلف عن الأنظمة الإعلامية الرسمية و الكلاسيكية من حيث طبيعة المضامين، كما يعدّ إلى حد كبير معارضا للنظم والأجهزة الرسمية والتي تجد نفسها غير متناقلة لتتسارع لفظ و شل هذا الإعلام البديل، وقهر الحريات، حتى ولو كانت هذه الحريات التعبيرية مرهونة بين واقع الأحقية المشروعة في المطالب والإلتزامات هذا من جهة، ومن جهة أخرى إتساع منافذها بين قوة تأثير الوسيلة الإعلامية الحديثة، وبين روح الإشباع في إستخداماتها من طرف مستخدميها خاصة لما يتعلق الأمر بشريحة المهتمشين في المجتمع.

ومن هنا اقتضت الحاجة إلى دراسة إشكالية حرية التعبير لهذه الشرائح من خلال الفضاء الرقمي والتي عنواننا مقالنا ب: تجليات التهميش والعنف في الفضاء الرقمي.

من سياق العنوان تطرقنا في مقالنا عمدة عملية التحليل السوسيولوجي للفيديوهات اليوتوبية التي تقتصر على بعض العينات من الفئات الهامشية في المجتمع.

1-التصور المفاهيمي للدراسة:

تحمل الدراسة عدة مفاهيم تعلقت أساسا بالعنوان و التي سنعمد على ذكرها تباعا كما يلي:

1-1 التهميش:

لقد شكّل مفهوم التهميش بعدا نظريا و إمبيريقيا في بحوث العلوم الإنسانية و الإجتماعية نظرا لمرونته في إطار البحث الإجتماعي، وذلك لما يشوبه من غموض وضبابية، خاصة عند إستعماله وتوظيفه، وقد ورد المصطلح من المصدر همّش أي عضّ، وتهاشم القوم أي دخل بعضهم ببعض وتحركوا، وكلمة الهامش تعني هامش الكتاب أي جانبه، كما جاءت الكلمة مرادفة لعدّة مصطلحات منها: الإهمال، العزل، الترك⁽¹⁾، التخلّي، الإغلاق، التفرقة، اللامساواة، الإقصاء، الإغراب والتضييق⁽²⁾.

كما جاءت التهميش بمعنى جعل الفرد مغتربا عن موطنه بقصد أو بغير قصد، فالحالة الأولى تدلّ عن الطرد والكراهية والنبد والإبغاض⁽³⁾، والثانية تدلّ عن الحالات النفسية التي يعيشها المبعدون والمهمشون، وأيضا استبعادهم وترحيلهم وإلغائهم إجتماعيا، ومن هنا نرى أن للتهميش موضعين هما:

الموضع الأول: أين يحوّل الفرد من الجماعة إلى الهامش.

الموضع الثاني: متعلّق بالحالات النفسية التي يسببها التهميش جرّاء الخنق والعزل الإجتماعيين، وكذلك الإقصاء والتخلّي والعزل مؤسّساتيا التي تؤدّي إلى الإغتراب النفسي

كما وقد خلص كاثي شنيدر على أنّ التهميش هو ذلك العزل الذي يفرضه الأقوياء والمتحكّمون⁽⁴⁾ في رؤوس الأموال والتسلّط على البسطاء والعوام والمعوّزين، وجعلهم يقبعون في مستويات الفقر واللامساواة، وهذا ما يجعل الفئات الكادحة قابضة في التّشويش والألم والمعاناة والإنعزالية، والنقص في الموارد الإقتصادية وشحّ المساعدات الإجتماعية، وكل هذه التّغيرات تؤدّي لا محال إلى الخلل الوظيفي والإجتماعي في البناءات المؤسّساتية.

أمّا دافيد هيوم فقد تلاحقت أفكاره حول هذا المفهوم مع كارل ماركس الذي يرى أنّ التهميش هو ذلك الموضع الوضيع الذي تحتله الفئة الهشّة في النظم الرأسمالية، حين يسلم المهمّش والكادح أمرهما لعبودية الأجر، ويرغمهما عنوة في بئر الشقاء والعبودية والألم، والطرد، فهما بذلك الفئة المغتصبة والمنتهك حقوقها من طرف الرأسمالية⁽⁵⁾.

1-2- العنف:

يعدّ مفهوم العنف من المفاهيم الإجتماعية التي اختلف عليها الباحثون، ويعود هذا الاختلاف إلى تعدّد دلالات المصطلح وتنوع سياقاته في مختلف الإتجاهات والمسارات المعرفية، والتي تتناوله من عدّة زوايا، وتختلف النظرة له باختلاف الزّمان والمكان وتنوّع الثقافات، وعليه يعرف العنف كما يلي :

*العنف من الفعل عنف برفع النون وعنفا، والعنف وعنافة به وعليه أي أخذه بقسوة ولم يرفق به، و العنيف من لا رفق له بالركوب الخيل و الشديد من القول ⁽⁶⁾ ، وهنا تكون الشدّة والقساوة، ومن هنا يدل العنف: على القوة وعدم الرفق، وكلمة العنف أيضا مرادفة للقوة و التعسف و ضد الرفق ⁽⁷⁾ و إستخدام السلطة القهرية في الأقوال والأفعال.

*أما في اللغة السانسكريتية جاءت الكلمة: عدم العنف أي عدم الإضرار والقيام بعمل شرير، والكلمة تعني أمرا أخلاقيا وهو عدم الأذى والإلتزام بالعرف البوذي ⁽⁸⁾.

وجاء في القاموس الفرنسي أنّ العنف يعود تاريخه إلى سنة 1215 ويعني إستخدام المتعسف للقوة وإستخدام العنف الموجه ضدّ خصم لإرغامه على القيام بعمل ضدّ إرادته بإستخدام القوة والتخويف ⁽⁹⁾ ، ومن هنا نرى ان العنف هو مسألة لا أخلاقية ولا قانونية للحصول على شيء مرغوب فيه ، وبالتالي فهو بمثابة القيمة المرغوب عنها وقد يرجّح أن يكون العنف في مواطن عديدة حق وواقع لابدّ منه: أين يجوز للجماعة المضطهدة والمغلوب على أمرها استعماله واعتماد مشروعيته لغاياتها وأهدافها كالعنف الثوري ، و الدفاع عن النّفس و الدفاع عن المستضعفين ⁽¹⁰⁾ ، و يرى فرج عبد القادر العنف على أساس الممارسة العدوانية و السلوك المتعسف ضد الأفراد و الجماعات بغية قهرهم ⁽¹¹⁾ و الإستمرار في إبدائهم عن طريق إستخدام الضرب و التّقتيل و التّكسير و تدمير الممتلكات العامة و الخاصة.

و العنف في الحياة الإجتماعية تستهدف المؤسّسات الإجتماعية بكل مرونة وسلاسة و تتمظهر في السلوكات عن طريق العنف المادي و تارة بالعنف الجسدي و أخرى عن طريق العنف الثقافي أو الرمزي أو الحضري، و مثل تلك التجليات تكمن في إقامة الحواجز في الطرقات و كثرة الإحتجاجات وعدم إحترام النظام العام مع ظهور الكتابات الجدارية المعبّرة عن أنواع السخط و الرفض الإجتماعيين، وكل هذه الدلالات يرجعها الباحثون إلى الخلل و عدم الإّتزان على مستويات التنشئة الإجتماعية للأفراد و فقد الضوابط و القيم والمعايير، و بالتالي تتجسّد العنف عمليا هذا من جهة و من جهة أخرى يرجعه البعض إلى المكبوتات

النفسية و البيولوجية للأفراد و هذا لنقص في حالات الإشباع أو فقدها تمامًا كالمأكل و الملبس و الإيواء و التزاوج.... إلخ⁽¹²⁾.

1-3- حرية التعبير في الفضاء الرقمي:

تعدّ الحرّية السبيل الأول للإنسان كي ينعم براحته وإحساسه بطعم الحياة التي لا يمكن نزعها من الإنسانية جمعاء، ومن هنا فالحرية هي أساس الديمقراطية والتنظيمات المؤسسية، بل هي أساس الحياة الكفيلة لكل فرد من أفراد المجتمع للتمتع بالحقوق والتعبير والتنظيم ومراعات حقوق الآخرين وعدم المساس بأمنهم وسلامتهم، ومن هنا يظهر لنا جلياً أنّ حرية التعبير في الفضاء الرقمي هو شكل من أشكال حقوق الإنسان وملاذ صريح للتعبير عن الحقوق والمطالب والمكبوتات والرغبات والاحتياجات

وكل هذا يأتي عبر وسائط الفضاء الأزرق، وهذا لغاية يبلغ فيها طموح الأفراد والمستخدمين المكانة والزيادة في الوعي والثقافة والمشاركة ضمن مؤسسات المجتمع وتحسينا للثقافة الجماهيرية.

1-4 شباب اليوتيوب:

قبل التطرق لتعريف شباب اليوتيوب، يجب أن نسلط الضوء أولاً على السياق التاريخي لموقع اليوتيوب الذي أحدث طفرة جدّ نوعية و متميّزة في عالم النّت و الإعلام و الاتصال حيث يعدّ شكلاً من أشكال التواصل الاجتماعي⁽¹³⁾، والذي يسمح لمستخدميه التواصل و التفاعل صوتاً و صورة بهدف إحداث الأثر للمتلقين وإشباع ميولهم، وفتح منافذ التعبير عن الأفكار و الخواطر والإبداعات، وتبادل الخبرات والمعارف مع التشارك الوجداني، وقد تأسّس موقع اليوتيوب يوم 14 فبراير سنة 2005 على أيدي كل من الأمريكي تشاد هيرلي والطبواني تشين والبنغالي جادو كريم الدين، وهم من عمّال الشركة الالكترونية "بايال"، ويستعمل اليوتيوب وفق طرائق التّحميل والتّصوير والتّسجيل للفيديوهات والبودكاست، وهذا بحسب حامل الرسالة الإعلامية المراد بتّها إما بطريقة الهواة أو بطريقة المحترفين في المجال السمعي البصري.

ومن هذا المنطلق فشباب اليوتيوب هم الشّخصيات الأكثر تفاعلاً و نشرًا للفيديوهات في شتى المواضيع و المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والرياضية والثقافية، والتي يتمّ تعبئتها على شكل بوتكاست بصفات الإثارة و التشويق و لفت الإنتباه حول قضايا راهنة في المجتمع، و يكون الإبداع و النشاط و المروعة الفنية في تجسيد الشخصيات واقعا حيا يتمثّل وفق طرائق التهمكّم و السّخرية أو بطرائق الجدّة و تعرية الواقع أو فضحه وكشف خفاياه الدفينة، و غالبا ما تكون الرسالة الإعلامية اليوتيوبية واقعة بين جدلية

الإفصاح أو الإفصاح و بين التضمين أو التشفير، و هذا ما يتسبب حقيقة في إستقطاب ردود الأفعال بالنسبة للمتلقين و المتشاركين و المعجبين.

2 - التصور النظري للدراسة:

من خلال العلاقة الإرتباطية بين مفهومي التهميش والعنف، تبرز في وقتنا الحالي مجموعة من الأبعاد والخلفيات لواقع التهميش المؤسّساتي المتعلّق بـ الفئات الهشّة والشرائح المهمّشة في المجتمع الجزائري، حيث أصبح العنف الحضري جزء لا يتجزأ من البناء الاجتماعي والمؤسّساتي التي تشكّل النظام العام في المجتمعات عموماً، ومن هنا تتجلى العلاقة التفاعلية بين واقع العنف المرتبط أساساً بظاهرة التهميش والحرمان الاجتماعي للطبقات المحرومة والمعوّلة مؤسّساتياً، ولقد طرحت الباحثة ازهار صبيح عنتاب تقسيماً إعلامياً للعنف مفاده: إستبعاد بعض القيم الغير السائدة في المجتمع، والتي تتبنّاها بعض القوى والجماعات العنيفة من إهتمامات وأولويات وسائل الإعلام، والذي يكون مرتبط غالباً بالإستبعاد والتهميش للشرائح الهشّة، ممّا يدفعها إلى حتمية القيام بأعمال العنف والشغب والإحتجاج ومظاهر الإخلال بالنظام العام، وهذا ما يفصح عنه خلال الهيمنة الصريحة والخفية لوسائل الإعلام والإتصال التي تعمل في سلباتها المضمرة إلى تحويل المجتمعات إلى مجرد دمي وعرائس "قراقوز"، وتلاعب بعقول المبعدين كيف و وقت ما تشاء، ومثل تلك التجليات غالباً ما تظهر عبر الوسائط الإتصالية و الإعلامية البديلة في الفضاءات و الشبكات الرقمية عبر الفيسبوك واليوتيوب... إلخ، وهذه الأخيرة أصبحت مجالا خصبا للهامشين للتعبير عن مظاهر الرفض والسخط وعدم الرضا على الواقع المعاش من خلال ثقافة الصورة والفيديوهات التي تحمل معان للعنف بأنواعه وتصنيفاته: الثقافية والرمزية و الجسدية اللفظية والحضرية ومن هنا تأتي العلاقة بين القائمين بالعملية الإتصالية والإعلامية: أي المرسل وصاحب الرسالة وبين الجمهور المتلقّي . حيث يحدث التفاعل والإرتباط خلال عمليات المشاركة والمشاهدة والإعجاب والردّ والتعليقات، و هذا ما يرجعه بعض الباحثين إلى دينامية وحلقة التهميش والعنف في الفضاء الرقمي للمهمّشين و المقصّبين إجتماعياً، و أيضاً إلى العلاقة الإرتباطية بالمكوّنات النفسيّة و البيولوجية للأفراد، وهذا حاجة إمّا في النفس أو في النقص على مستوى الموارد الإجتماعية والإقتصادية والثقافية للشرائح الأخيرة، بالإضافة إلى وجود حالات الإفتقار على مستوى الإشباعات السوسيو إقتصادية، وبالتالي تأخذ الوسيلة الإعلامية دورها البارز في إحتواء الوضعية المزرية للطبقات الدنيا في المجتمع، وتصبح الكرة في مرماها الوحيد والتي تتجلى وفق مدخل الإستخدامات والإشباع في الرسائل الإعلامية، وتؤكد الدراسات أن إفتقار الأفراد لحاجات معيّنة تجعلهم يبحثون عن البدائل وحالات الإشباع والتعويض عن النقص، الأمر الذي يحوّلهم إلى التعرّض إلى وسائل الاعلام، ويرى

كاتز وزملاؤه أن: المواقف الاجتماعية التي يجد الأفراد أنفسهم فيها، هي التي تعمل على إقامة العلاقة بين وسائل الإعلام وإشباع الحاجات⁽¹⁴⁾، هذا من جهة، من جهة أخرى تعمل الوسيلة الإعلامية الرقمية (اليوتيوب مثلا) على استقطاب المتلقين لما لها من زبئية وتراكمية على مستوى المواضيع والمجالات ودرجة الحرية للمستخدمين بحسب الدوافع والحاجات التي يريدون إشباعها، وتتجاوز حالات الإفتقار والنقص خلال هذه العملية و يظهر ما يسمى "مفهوم الجمهور" وتحدث تلقائية المرسل والمتلقي حيث عبّر عنه جون ديوي : أنه الوحدة الاجتماعية التي تتشكل حول قضية معينة ومشكلة ينبغي إيجاد حلول لها كقضايا المهمشين في المجتمع⁽¹⁵⁾ والتي تتمظهر صوره من خلال الفيديوها المتعلّقة بمظاهر الفقر والبطالة وأزمات السكن والعشوائيات ونقص الموارد المائية و تدهور الحالات الصحيّة والبيئية للشرائح الهشّة، فهناك علاقة وطيدة بين المهمشين الفقراء عبر القطر الوطني، والتي تكمن في الصرخات والنداءات اليومية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وتعدّ التنمية المحليّة الشغل الكبير لأوساط الهامشية عبر الوسائط الإعلامية والاتصالية الكلاسيكية والحديثة، إذ يذهب الجميع إلى التصريح عن المشاكل اليومية التي تعبّر عن قضايا الرأي العام و مناهضة أنواع الظلم و الحقرة و مناصرة المظلومين و مساندة الفئات الهشّة، ومن بين صور التهميش في الفضاء الرقمي نجد عدة أزمات و قضايا من بينها: أزمات الأشخاص المستّين وذوي الأمراض المزمنة والمعزولين عن المجتمع بالإضافة إلى أزمة المنح المتعلّقة بالأشخاص عديمي الدخل و المنح الخاصة بالمعاقين وما أحدثته التصريحات الإستبعادية لهذه الفئة من طرف إحدى الرائدات في المجال الإعلامي والاجتماعي و أزمة الحرّاقة والهجرة السريّة وإقصاء النّخب والطلبة والأطباء المقيمين وتهميش الأبطال الرياضية، ضف إلى ذلك الأزمات و المشاكل المتعلّقة بالتعليم والإضرابات و الإنتخابات و أزمة الهوية واللغة واللهجات و أزمات العشوائيات وقاطني الصّفيح و تأخر السكنات الترقية المدعّمة و أزمة الضمان الاجتماعي والتأمينات الصحيّة في القطاع الصّحي والمستشفيات ناهيك عن قضايا المرأة و الطفولة و الشباب والمرتبطة أساسا بقضايا السياسة و الإقتصاد في المجتمع، وتعتبر القضايا سالفه الذّكر من أكبر الأحداث التي يروّج لها مستخدمي الفضاء الأزرق خاصة شباب اليوتيوب ومتصفّحي الفايسبوك والتويتر، لما تحمل من رسائل ومعان راهنة في المجتمع الجزائري، إذ لا ينقضي يوم ونجد أنفسنا أمام قضية شائكة تخصّ العوام من الناس من الطبقة الأدنى في المجتمع، ومما سبق يسعنا الحديث عن أكثر المواد إعلامية المثيرة للجدل عبر مواقع اليوتيوب في الفضاء الأزرق نجد قضايا التهميش والشباب التي تعبّر عن تطلعات وآمال الفئات الدونوية من المجتمع، حيث تبوّ بعض شبابنا قضايا المجتمع بكل حيثياته وهناته، ممّا جعلهم يتحدثون عن المشاكل والمثالب الاجتماعية الراهنة في المجتمع الجزائري ومقارنتها مع حال النظم الرائدة في جميع المستويات والأصعدة، ويكون لقاءهم إلكترونيا ضمن شبكات إجتماعية⁽¹⁶⁾ قائمة على الإهتمامات الموحّدة في شتى

مجالات الحياة، وقد ظهر في الآونة الأخيرة عبر موقع اليوتيوب نماذج شبابية جزائرية داع اسمها في أكثر من قناة إعلامية، و أحدثت ضجيج وردود أفعال كثيرة على المستويات الإعلامية و السياسية والإجتماعية، و أخذت أعمالها شهرة كبيرة و بعدا خارج نطاقها المحلي و الوطني ومثل ذلك تتعدد الأمثلة من المتفاعلين في موقع اليوتيوب، و يتجلى ذلك من خلال الأرقام التشاركية المتفاعلة، و التي لقت رواجا و إهتماما واسعا لذا المتلقين خاصة من فئة المهتمين إجتماعيا، فمن منا لم يشاهد الفيديوهات التي واكبت الإنتخابات التشريعية و الولائية الأخيرة، حيث قاربت نسبة مشاهدتها أكثر من مليونين مشاهدة أو تزيد، و ما أحدثته من استقطاب خاصة من طرف شباب الهامشية، و كل هذه الحالات ماهي إلا تعبير عن مظاهر الرفض و عدم الرضا لواقع الحال وعن حالات الإغتراب التي تعيشها الأوساط الشبابية، كما وجدت رسائل إعلامية تتشاكل وتضارب مع بعضها البعض في آن واحد ، فتارة تجدها تواكب الأمواج وتارة أخرى تسبح عكس تياراتها، وهذه الظاهرة جدلية تقتضي البحث في غمارها ، فتجد الأعمال تبث بطابع الهواية والتي تفتقد للرسمية القانونية، وتتضارب الآراء حولها خاصة لما يتعلّق الأمر ببريحية هذه الأعمال...؟!، وكذلك لما تتحدث الرسائل الإعلامية الهامشية حول تعرية النظام العام وفضح هناته ومفاسده بأساليب ذات الطابع التهكمي والسخرية، ومن خلال سيميائية الفيديوهات طالما حملت مواضيع ترتبط أساسا بالهامشية الحضرية كالفوضى والفساد السياسي والإقتصادي والخلقي، ناهيك عن مظاهر الهجرة الغير الشرعية(الحرقة) والعدالة الإجتماعية والظلم والرشوة والمحسوبية والطائفية والباطولوجية الاجتماعية و أصحاب الشكارة والمال الفاسد و قضايا اختطاف أطفال إلى آخر ذلك من المواضيع المتعلقة بقضايا التهميش والإقصاء والحرمان المؤسسياتي.

إنّ الحصار والخنق اللذان يعترضان الأعمال الإعلامية البديلة دائما ما يواجه بالقمع أو الحجب أو المناورة أو استقطاب هذه الشرائح، خاصة لما يرتبط الأمر بالأمن والاستقرار وضرب مؤسسات الدولة أو الإشتهار بالشخصيات العمومية، ومن هنا نرى أنّ هذه التّعقيدات على مستوى الحرّيات تتنافى تماما مع ضروب الديمقراطية وحقوق الانسان والتي تعمل على حفظ كرامة الأفراد والشخصيات والإنسانية جمعاء⁽¹⁷⁾، وبالتالي فالإعلام الموازي و الهامشي واقع لابد منه، و يرتبط حقيقة بكشف خبايا الجور والظلم و الفساد وغياب العدالة الإجتماعية، وإن أردنا أن ننظر إلى هؤلاء الشباب من باب آخر فإننا دائما ما نجد الإبداع و الفن و روح الخلق و الابتكار في هذه العمليات الإعلامية التي تنبذ الإقصاء و العزل الثقافي، وهذا في حد ذاته إقصاء للتنوعات السوسيو الثقافية و الإبداعية ولما لا السياسية، و التي دائما ما تبحث عن المشاركة الشبابية في العمل السياسي و الإنخراط في الأحزاب و الجمعيات و المنظمات الحكومية و الغير حكومية، أما حين يتعلّق الأمر عن التوجّهات والتشعبات الثقافية والإيديولوجية والسياسية للمتفاعلين عبر مواقع اليوتيوب فإننا نجد عدة متفاعلين فمنهم من يكون تحت غطاء الموالة للسلطة السياسية⁽¹⁸⁾، والعيش تحت

لوائها إمّا عن طريق التملّق و التسلّق و الإنتهازية، ومنهم من نجدهم تحت أقبية المعارضة إمّا من أجل تعرية الواقع وكشف فضائحه أو من أجل الشهرة و الظهور أو الهدف من وراء ذلك زعزعة الاستقرار والأمن وخلق الفوضى، كما نجد متفاعلين يسبحون في برك الرداءة والفن الساقط، و التشهير والسخرية والتهكم على الأشخاص، وفي هذا الشأن يمنع موقع اليوتوب تحميل أي محتوى غير لائق و الذي لا يتوافق مع سياسة الموقع و التي تنبذ أنواع العنف و الإساءة و التشهير بالأشخاص⁽¹⁹⁾.

أمّا فيما يخص العنف في الفضاء الرقمي فقد ظهرت في الآونة الأخيرة عدّة مظاهر وقيم غير مرغوب فيها بفعل تداخل الحياة وتعقيداتها على جميع الأصعدة والمستويات في فلسفة الحريات الإنسانية التي لا تلتزم بأدنى مبادئها، حيث أضحى العنف منفسا ومرتعا جذابا بكل ألوانه وجاذبيته في الفضاء الأزرق، و الذي يعلن العام والخاص أنّه وعاء لا ينضب ما فيه في كلّ آن وحين وزاوية من هذا العالم المعاش، والذي يسميه البعض: عالم الحريات اللامتناهية، ولا نذهب بعيدا فالجزائر مثل بقية دول العالم دخلت عليها التكنولوجيا غير طارقة لأبوابها وبدون تأشيرة عبور، فأصبح القاصي والداني يغرد ويسبح ويقف أمامه بدون مشيخة ولا إجازة، و في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية، وهذا بطبيعة الحال ما أفرز عدّة مظاهر لا نقول عنها: (الأكثر سلبية)، فالكلّ مقرر على أهمية الفضاء الرقمي وما يحتويه من إيجابيات، ولكننا دائما ما نستعمل ونستشهد بالمثل القائل: إن انتشار الشيء يذهب قيمته، وغير بعيدا عن ذلك أصبحت الفضاءات الرقمية مجالا خصبا لأصحاب الهوى والعقول الضعيفة ودعاة الفتن والجهوية والمصالح المتسلقة الذين يحيكون خيوطهم في نفث السموم والأزمات، غير مباليين بالتماسك والوحدة، فهم بذلك ينخرون جسد الوطن أينما تسمح لهم الفرص، و في هذا الصدد تحدث كلا من بوسهمين أحمد و طافر زوهير⁽²⁰⁾: أنّ الجانب العنيف للرسائل الإعلامية الحديثة تشتغل أساسا في توليد الكراهية و إشعار نيران الفتن عن طريق إثارة الغضب و الخوف و الدفع بالمستهدفين إعلاميا و إجتماعيا إلى تبني سلوكات عدوانية، وخير دليل ما يحدث في المجال الرياضي عن طريق التصريحات السلبية لأشباه المسؤولين ورؤساء الأندية والفرق الكروية في بطولة المهازل الإحترافية لكرة القدم، إذ تلقى هذه التصريحات روجا كبيرا بين الأوساط الشبابية وال جماهير الشعبية، حيث أصبحت ظاهرة التصوير وإلقاء الخطب من المميّزات التي تشارك يوميات المواطن الجزائري، وخاصة عندما يتعلّق الأمر بمظاهر العنف بأشكاله وأنواعه والسخرية وإسقاط الآخرين في مثالب التصوير وشباك الفضاء الرقمي من الزاوية الأخلاقية ففاقد الشيء لا يعطيه سلفا، وهنا أتحدّث عن الجوانب القيمية الحميدة التي تفتقد يوما بعد يوم، بفعل التخبّط في الإلتباع في الشيئية والتكديس، أو كما قال مالك بن نبي والذي تحدّث عن انغماسنا⁽²¹⁾ في الثقافة الغربية بأرجل مشلولة و تفسخ خلقي على أساس الحرية والمدنية والديمقراطية و التحرّر القيمي، وخير مثال على ذلك ما حدث في

مدينة سكيكدة من أحداث الشغب والإحتجاج من طرف الأنصار عقب مباراة شبيبة سكيكدة وجمعية الشلف يوم 31 مارس 2018 وما أحدثته من هالة ورواج عبر مواقع التواصل الإجتماعي، وتحميل السلطات الأمنية في حدوث أعمال الشغب، وبالتالي إستخدام حرية التعبير والتعليقات حول قضية إحتجاز العشرات من المناصرين في الصفحة الخاصة بجماعة بلا حدود، وكذلك الصفحة الرسمية عبر موقع الفايسبوك لشبيبة سكيكدة... إلخ ذلك من أحداث تتداول عبر الفضاء الأزرق الذي يتناول أحداث يومية محلية، كما حدث في الآونة الأخيرة وطنيا مصاب جلل ذهب على إثره إستشهاد 257 عسكري إزاء تحطّم الطائرة العسكرية الجزائرية، فهبت كل شرائح المجتمع الجزائري متسارعة غير متناقلة في نعي الشهداء وتأييدهم والصلاة عليهم صلاة الغائب جماعات وفردى في المساجد، وكذلك في الفايسبوك وعالم النّت، وقد أعلن الحداد رسميا من قبل رئاسة الجمهورية ثلاثة أيام، ونكّست الأعلام، والمفارقة هنا ما حدث بالفعل في أيام الحداد على الشهداء من مظاهر العنف وتجليات حرية التعبير الدنيئة في الأوساط الرياضية في كافة أرجاء الوطن، فالبداية كانت الصور التي يدمى لها الجبين في مقابلة كأس الجمهورية، وما أحدثته الفيديوهات اللامسؤولة للمشاهير وأطراف الفتن والتفرقة والمصالح الجهوية وأعداء الوطن، وغير خاف للجميع ما حدث من عنف بين أنصار فريق مولودية الجزائر وشبيبة القبائل، حيث رصدنا الفيديوهات التي تشهر للهمجية والوحشية بكل فخر وإعتزاز وفضاظة ولؤم، أين يصوّر ملقي الحجارة وهو يظهر نفسه كبطل قومي ترفع له القبعة ويقلّد بالأوسمة وبالإعجاب والنقر والمشاركة بكل وضاعة من قبل أشباه الرياضيين من المتفاعلين عبر مواقع التواصل الإجتماعي، والأكثر من ذلك الفيديو الذي يعبر عن الوحشية التي ألقى بها أحد المناصرين في إحدى الأودية بقسنطينة بعد أن صوّر وهو يتعرض للعنف الجسدي من المتعصبين و أنصار الجهوية الذين ينقرون الأسوياء عن إطار الرياضة، و حدث هذا أيضا في ملعب العلمة ووهران وحتى أقصى صحرائنا بملعب أدرار أين تمّ الإعتداء على الحكام من طرف لاعبي شباب أدرار بكل وحشية، والمؤلم أن صاحب الفيديو وبكل إحترافية وحرية للتعبير حرّض اللاعبين على الحكام بممارسة أنواع العنف اللفظي و الجسدي و المعنوي و بأقبح الألفاظ وأشنعها، وغير بعيد عن حرية التعبير في الفضاء الرقمي وعلاقته بمظاهر العنف ما يستعمل في بعض الصفحات الفايسبوكية و الفيديوهات اليوتيوبية التي لا تنفك إلا أن تعلن في كثير من المرات عن أغراضها وأهدافها الدسيسة بكل حرية، وهذا ما يظهر لنا من خلال البود كسات الذي يفتقر إلى معالم الإحترافية والرسمية، حيث ظهر في الفضاء الرقمي الجزائري عدّة شخصيات لها من الرفض والعزل و الطرد الإجتماعي من جهة وجهة أخرى حب الظهور والشهرة وأغلب مضامينها التهكم والسخرية والعنف وإحتراف التفرقة والجهوية والطائفية، وأكثر هذه المواقع الإعلامية الرقمية وجدت الفضاء الرياضي منفسا رطبا لتضارب المصالح أو توافقها، وكما تكون العشوائية والعفوية من سماتها أيضا، وحيث وجد في الآونة الأخيرة

شخصيات المشاهير مادة إعلامية دسمة للنقد والسخرية والتهكم والخوض في شخصياتهم، وهذا شيء منبوذ ويحاسب عليه العرف و القانون، وبخاصة لما يتعلق الأمر بالمساس بشخصية الأفراد وحياتهم العائلية، وكل الهنات والسقطات الأخيرة نجد الكثير منها من خلال نشر الفيديوهات السلبية و التعليق عليها إمّا بالتأكيد أو المشاركة وحتى بالإعجاب، وكل هذا يتجلى بغير رادع ولا ضوابط مهنية وأخلاقية، والسبب في ذلك مردّه: إلى الجهل بالقوانين التي تحكم الفضاء الرقمي أو إلى غياب الثقافة الإعلامية الإحترافية أو إلى وجود الخلل على مستوى المنظومة القيمية في المجتمع، كما يرجع صعود الفن الساقط إلى الكراهية والنبد والتهميش الذي يفرضها الإنسان على أخيه الإنسان، و من هنا هل نتوافق مع النظرية الذنبية " لهوبز" القائلة: "الإنسان ذنب لأخيه الإنسان" و هل يحقّ لنا نفياً أو معارضتها قيميا بحكم الخصوصية الثقافية التي ننتمي إليها بهذه الأبيات التي تعبّر عن وجود الكراهية و التهميش و العنف منذ قديم الزمان الغابر والذي أعطى للذنب براءته من أكل لحم أخيه الذنب، وهو براء من أكل ابن يعقوب عليه السلام و عليه نستحضر هذه الأبيات الشعرية القائلة :

نعيب الزمان والعيب فينا *** وما للزمان عيب سوانا

ونهبوذا الزمان بغير ذنب *** ولونطق الزمان لهجانا

وليس ذنب يأكل لحم ذنب *** ويأكل بعضنا بعضا عيانا⁽²²⁾

ومما سبق تختتم دراستنا الإشارة بأنّ حريات التعبير في الفضاءات الرقمية جدّ مرنة وحساسة في آن واحد، لدى تقتضي الضرورات العمل على ضبط ميكانزمات وآليات التعبير الإعلامي خاصة لما يتعلق الأمر بكيفيات تحميل الفيديوهات وطرائق التعليقات وأمور النقر والإعجاب والمشاركة بالنسبة للمتفاعلين في عالم السيارنية، كما يجب العمل بصرامة مع المواد الإعلامية الهابطة التي تمسّ حياة الأفراد وأمورهم الخاصة كالقذف وأنواع السباب والعنف و مظاهر الخلاعة ناهيك عن الأمور المحرّضة لزرع الفتن وزعزعة النظام العام، و تخريب الممتلكات العامة⁽²³⁾ كما يجب النظر بعين الاعتبار إلى هؤلاء الشباب الهامشي من منظور الإبداع والخلق والنقد البناء الإيجابي، وليس من منظور زرع الفوضى والبلبلّة وزعزعة الأمن والاستقرار، أو كما يقول المنجي الزيدي⁽²⁴⁾: يجب النظر إلى الشباب نظرة الحكماء في الإصغاء و معرفة محيطهم والعالم الذين يعيشون فيه فالشباب أقدر على التعبير عن طموحاتهم و مشاكلهم ومن هنا تكمن أهمية الشباب الذي يتميز بالعطاء و الطموح و الدافعية لرفض الظلم والتخلف في المجتمع الواحد، ويكون الهدف من ذلك إصلاح الوضع العام واستقطاب هذه الفئة والعمل على تقليل من حدّة توتّرها وانفعالها، وهذا بغية إرشاد قواعد المواطنة والتنمية.

خاتمة:

و استنادا إلى ما سبق، يمكننا أن نستخلص الأمور السابقة و ذلك بإستحضار قول كوفوشيوس⁽²⁵⁾ في هذا الباب و الذي رأى أن امتلاك الناس بسلطة القانون و التّحكّم بهم بالجزاء و العقاب فإنّهم قد لا يتجنّبون أمّا إذا تمّ إرشادهم بالفضيلة و الحكمة و إقامة العدالة و الإنصاف و الإحتواء فيهم ، فالأمر يستقر في نفوسهم، و لن يلبثوا حتى يصبحوا أسوياء، وعليه فإنّ الإعلام البنّاء هو مرآة الشعوب وانعكاس له في أرض الواقع بإيجابية النّقد و تقبّل الآخر، وبالتالي تتحقّق المصلحة العامّة و يتوازن النظام الإجتماعي ككل.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إسماعيل قيرة، الجزائر والنظام العالمي الجديد، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع 6، جامعة 20 أوت 55، سكيكدة، 2010، ص 13.
- 2- حلمي خضر ساري، الاتصال عبر الأنترنت في العلاقات الاجتماعية، دراسة ميدانية للمجتمع القطري، مجلة الجامعة دمشق، المجلد 24، ع 2 و 3، 2008، ص 302.
- 3- محمد بودرمين. إشكالية التهميش الاجتماعي في الجزائر. سلسلة الدراسات الاجتماعية ومشكلة قضايا المجتمع في العالم متغير، 2007.
- 4- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل العين، المكتبة التوفيقية، مصر، ج 4، ص 172.
- 5- Armard Colin, Dictionnaire de l'itir et des relations inter culturelle. Paris, France, 2003, p203
- 6- كارل ماكس، رأس المال، ترجمة النسخة الفرنسية، مكتبة المعارف بيروت، لبنان، 1982، ص 321.
- 7- علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991، ط 3، ص 703.
- 8- تيري دي مونثريال وجان كليف ترجمة على محمود مقلد موسوعة الاستراتيجيا، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، بيروت لبنان 2011، ط 1، ص 816.
- 9- أزهار صبيح غنتاب، العنف في الصحافة العربية الدولية، دار أسامة للنشر، عمان الأردن، 2011، ط 1، ص 10.
- 10- محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر 1998، ط 2، ص 116.
- 11- فرج عبد القادر، معجم علم النفس و التحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 551.
- 12- Ali koudrai, violence et Ecole, séminaire national sur la dynamique sociale et la violence en milieu scolaire, le 16-17 avril 2012, laboratoire de recherche: violence et éducation a la citoyenneté, mentouri constantine, en collaboration avec département de psychologie université 20aout 1955 skikda, 2012, P02.

- 13- أولجا جوديسي بيلي وآخرون، فهم الإعلام البديل، ترجمة علا أحمد إصلاح، مجموعة النيل العربية، القاهرة، مصر، 2009، ص 24.
- 14- أماني عمر الحسيني، الدراما التلفزيونية و أثرها على حياة الأطفال، عالم الكتاب، مصر، 2005، ط 1، ص ص 77-78.
- 15- مي العبد الله سنو، البحث في عموم الإعلام و الإتصال من الأطر المعرفية إلى الإشكاليات البحثية، دار النهضة العربية، لبنان، 2011، ص 75.
- 16- بوسهمين أحمد، طافر زهير، الإكتفاء الذاتي بين الحقيقة و الأوهام، مجلّة الباحث الإقتصادي، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر، ع 1، ماي 2013، ص 83.
- 17- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر الجزائر، المرادية، 1992، ط 2، ص ص 09، 08.
- 18- ديوان الإمام الشافعي، الموسوعة العالمية للشعر العربي، تم تصفّحه من الموقع الإلكتروني: www.adab.com، اليوم 2018-06-21، الساعة 22:30.
- 19- إياد شاكرك البكري، تقنيات الإتصال بين زمنين، دار الشرق، عمان، الأردن، 2003، ط 1، ص 120.
- 20- بوبعويو حكيمة، دور وسائل الاتصال للنهوض بالإبداع لدى المثقف العربي، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، ع 3، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة، 2008، ص 134.
- 21- فهد فغلومي، عالم العرب، قوانين اليوتوب و التوضيحات للريح و الرفع و سبب إغلاق قنوات يوتوب عربية، تم تصفحه من الموقع الإلكتروني WWW.ALEMELARAB.COM، يوم 2018/06/22 على الساعة 22.48.
- 22- علي ليلة، الشباب في المجتمع المتغير في ظواهر الأحياء و العنف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 35.
- 23- أنيس منصور، الشباب، دار الشروق، مكتبة النور، القاهرة، مصر، 2002، ط 1، ص 152.
- 24- المنجي الزيدي، مجلّة عالم الفكر، مقدمات سوسيولوجيا الشباب، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب، الكويت، المجلد 30، مارس 2002.
- 25- منتهى مطشر عبد الصاحب، أنماط الشخصية على وفق نظرية الأنبيكرام و القيم و الذكاء الإجتماعي، دار الصحافة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 1، ص 149.